مواجهة الظروف الصعبة .. رؤية إيمانية

الكاتب : خالد روشه

التاريخ : 4 ديسمبر 2017 م

المشاهدات : 2810

الظروف الصعبة اختبار شاق يمر بالمرء ، تظهر فيه صفاته الحقيقية ، وخفاياه الدفينة ، كما تظهر فيه قدراته الكامنة وإمكاناته المخبوءة، والمرء في مواجهة الظروف الصعبة يحتاج قلبا مطمئنا ، وعقلا ناضجا ، ونفسا هادئة سوية .

ويختلف الناس امام ظروفهم الصعبة بحسب قلوبهم هل هي قريبة من الله سبحانه أو بعيدة ، وعقولهم ، هل هي ناضجة أو هامشية ، ونفوسهم هل هي هادئة سوية أم أنها نافرة مضطربة !

فالمرء الذي يعود إلى ربه في أزماته ويتوكل عليه سبحانه في حلها , ويرجوه ويلح في دعائه أن يفرجها عنه واثقا في ذلك وموقنا به ومسَلما أمره له سبحانه فهو الأجدر أن تحل مشكلاته وينجو من أزماته .

والذي يلتفت إلى الماديات بعيدا عن ربه سبحانه , ويظن أن الحياة المادية تكفيه في حل مشكلاته ومواجهة ظروفه الصعبة فهو مغرور ما يلبث أن يفجع في نفسه وفي دنياه , قال سبحانه : " مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يغيظ ,, "

إن القلب المطمئن الذي تملؤه السكينة الإيمانية يتلقى الأزمات بثبات وهدوء , فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه، فهو راض بقضاء ربه سبحانه , صابر صبرا جميلا.

أما القلب المكدوس في الدنيا وزخرفها فهو يعتصر ألما عند المشكلات ويحترق غيظا إذا ما أصابته مصيبة فيما يراه من مكتسباته مما أنفق فيه زهرة حياته , فهو مصدوم مشلول الحركة تجاه مصائبه وأزماته , أو أنه متخبط متردد ثائر تائه !

وفي الحديث لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة تبكي ابنها بكاء شديدا وتصرخ قال لها :" اتق الله واصبري " .. " إنما

الصبر عند الصدمة الأولى " أخرجه مسلم

وفي الحديث أيضا " ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيرا منها ، إلا أخلف الله له خيرا منها " أخرجه مسلم

الرؤية الصائبة للازمة عامل آخر مهم للغاية ومؤثر في صحة حلها أو مواجهتها , وصوابية الرؤية تؤدي إلى صوابية الحل ، فكثير من الناس يصاب بتشويش الرؤية فلا يرى الأمور على حقائقها , وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه " اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنباه "

فانظر إلى الأزمة التي تمر بك من أعلاها لا من جانبها , فصفها لنفسك وصفا دقيقا بغير تهويل ولا تهوين , واعرف أطرافها جيدا , والعوامل المؤثرة فيها , ومدى أثرها المتوقع عليك وعلى من حولك ولا تفتح لنفسك مجالا لتداخل الرؤى بين ما يمر بك من مؤثرات أخرى وبين مشكلتك .

الجانب الأهم في المواقف الصعبة هو أن نواجه مشكلاتها ولا نهرب منها , وأقصد بمواجهتها وضعها على طاولة التفكير والنظر والبحث لدراستها دراسة جيدة , فالذين يهربون من مواجهة مشكلاتهم تظل مشكلاتهم وأزماتهم بغير حل أو انقضاء , بل إن بعضهم يظل قيد مشكلته حتى بعدما تنقضي المشكلة .

والبعض يلحق به أذى مرضي سواء أكان نفسيا أو عضويا بسبب عدم مواجهة مشكلته أو الانزواء عنها أو الخوف من مواجهتها , فتجد كثيرا من أمراض الاكتئاب وكثرة النوم والانطواء سببه ضغط الأزمات وعدم الرغبة في مواجهتها .

وبدلا من تضييع وقتك وجهدك تأسفا على ما حدث لك , وسقوطك في التيه النفسي تقليبا في أحداث ما أصابك , فأولى لك أن تتفكر في أسباب ما حصل لك , فإن كان أمرا قدريا ليس لك فيه دور فعليك بقبوله والصبر عليه , وسؤال الله التثبيت لنفسك و فإنما هو ابتلاء يبتلي الله سبحانه به عباده و وعليك أن تدرب نفسك على تقبله .

وإن كانت أزمة ذات جذور فتفكر في أسبابها , فالتفكير في الأسباب جزء من التفكير في الحل , والموفق من وفقه الله إلى مسببات الأشياء فتوكل على الله في الأخذ بأسبابها .

ومن الحكمة في مواجهة الأزمات أن تضع لها حلولا مختلفة , وألا تقتصر على حل واحد , بل إن بدائل الحلول هي كلمة السر في حل الأزمات , وكلما كان البديل واقعيا وقريبا من الإمكانات والقدرات كلما كان أقرب للتطبيق . ويجب أن تعلم نفسك أنك إذا اخترت حلا بديلا وبدأت فيه فإياك أن تتردد , بل سر فيه مادمت قد اتخذت خطواتك سليمة كما بينا لك . (من المهم دراسة مواقف النبوة في الاختيار والحزم عند القرار وعدم التردد بعد الوصول للحلول ـ موقفه في أحد كمثال)

و بعد تفنيد أسباب ما تواجهه , ووصفه وصفا دقيقا بعيدا عن التوتر , ووضع خيارات الحلول الذاتية , جاء الدور على استشارة أهل الخبرة والعلم , فاستشارتهم تضيف علما إلى علمنا وخبرة إلى خبرتنا في مواجهة الأزمة , ثم علينا أن نضيف آراءهم وما تفضلوا به من اقتراحات ورؤى إلى ما سبقناهم فيه ثم نضع وصفا جديدا وصورة نهائية للازمة وحلها .

وتأتي استخارة الله العظيم سبحانه قبل الهموم والبدء بالعمل وبالحل كأمر أساسي ومبارك في حل الأزمة ومواجهتها , بل أنا دائما أنظر إلى الاستخارة وكأنها بوصلة في الطريق توجهنا نحو هدف مرجو صحيح .

المصادر:

المسلم